

## أبعاد النقد النحوي وأثرها في تنمية اللغة العربية واستدامتها

م.م عدنان ظاهر عبد عاجل

المديرية العامة لتربية محافظة ذي قار

[zxxadnan9@gmail.com](mailto:zxxadnan9@gmail.com)

### الملخص

واجهت اللغة العربية تحديات كثيرة ومتجددة تتمحور حول إبقائها لغة الفصاحة والكلام، وقد كان للنقد النحوي دوراً بارزاً في الدفاع عن لغة القرآن، فقد كان الركيزة الأساسية التي أسهمت بشكل مباشر في استدامة اللغة العربية وجعلها فعالة نابضة بالحياة في مختلف العصور، ووصولها إلينا بالشكل الذي هي عليه الآن، فقد مارس الرعيل الأول من النحاة النقد اللاذع منذ وضع اللغة العربية، يدفعهم إلى ذلك الحفاظ على لغة القرآن من أن تشوبها شائبة اللحن والتحريف، وحرصهم على لغتهم الأم وقد ألفوا كتباً نقدية في ذلك، مما ساهم مساهمة فعالة في إفراح المجال أمام تعدد الآراء، الأمر الذي جعل اللغة العربية تصل إلى الأجيال التالية خالية من الخطأ واللحن، وهم في دفاعهم عنها معتمدين على معايير كثيرة في إثبات صحة نقدهم، وبذلك لم تقف اللغة العربية عند جيل معين، كما أن النقد النحوي لم يكن مجرد تخطئة أو اعتراض أو جدل إنما هو آلة تطويرية أسهمت مساهمة فعالة في بناء منهج علمي رصين.

الكلمات المفتاحية : (النقد، الديني، العلمي، الثقافي، الحضاري).

Research Title: The Role of Grammatical Criticism in the Development and Sustainability of the Arabic Language

Assistant teacher. Adnan Thahir Abdul Ajil

Directorate of Education in DhiQar Governorate

[zxxadnan9@gmail.com](mailto:zxxadnan9@gmail.com)

### Abstract

The Arabic language has faced many recurring challenges centered on preserving it as the language of eloquence and expression. Grammatical criticism played a prominent role in defending the language of the Qur'an, serving as the main foundation that directly contributed to the sustainability of the Arabic language and keeping it vibrant and dynamic through different eras, allowing it to reach us in its current form. The early generations of grammarians practiced sharp and rigorous criticism from the very beginnings of Arabic linguistics, driven by their desire to protect the language of the

Qur'an from any corruption or distortion and by their deep care for their mother tongue. They wrote critical works that significantly contributed to opening space for multiple perspectives, which enabled Arabic to be passed down to later generations free from error or deviation.

Keywords: (criticism, religious, scientific, cultural, civilizational).

## النقد النحوي

يعد علم النحو من أبرز العلوم التي أسهمت في حفظ اللغة العربية وضبط تراكيبها ، وقد شغل الدارسين والنقاد منذ نشأته الأولى حتى العصور المتأخرة، لما له من أثر مباشر في فهم النصوص القرآنية والأدبية فهماً دقيقاً ، ومع تطور الدرس النحوي، ظهرت ملامح النقد النحوي بوصفه ميداناً علمياً يقوم على تقويم الآراء وتوجيه المذاهب، ومحاولة ترجيح بعضها على بعض استناداً إلى أسس ومعايير محددة .

لقد عرف الباحثون النقد النحوي بأنه ما كان (( يدور حول الحكم على توجيهات النحاة للمسائل النحوية بالحسن والجودة أو القبح والرداءة، وصولاً إلى الرأي الأصوب الذي يتفق مع قواعد اللغة والمألوف من نظامها اللغوي السليم )) (طعيس ، صبيحة حسن ، ٢٠١١ ، ص ٣٠ )، والنقد النحوي في ضوء هذا المفهوم يعني (( إطالة النظر في قواعد النحاة ومحاولة نقدها ، وكذلك تحقيق الروايات وتوثيقها، وتصويب القواعد وتدقيقها، فضلاً عن ذلك الدفاع عن العلماء والانتصار لهم، والتماس الوجوه والتأويلات لأرائهم ، وتخريجها على النحو المراد قبل الوقوع فيها أو القدرح بها والعمل على نقل المستطاع من المسائل الخلافية إلى جانب الاتفاق )) (العابدي، حسين راضي، ٢٠١٦ ، ص ٧٢) .

إنّ النقد النحوي ضارب بعمق التاريخ نشأ قبل أن ينشأ النحو ، فقد ظهر كردّة فعلٍ على فشو اللحن واستشرائه، وفي ذلك يقول الدكتور داوود سلوم : (( إن النقد النحوي هو أقدم أنواع النقد ، فإنّ أول فساد اللغة جاء من اختلاط النحو والصرف )) (سلوم ، داوود ، ١٩٩٩ ، ص ١٢٠)، وقد مر النقد النحوي بطورين، الأول : هو استهجان اللحن والسخط على مرتكبيه وقد مارس هذا اللون النقدي الحكام وممن يغارون على اللغة العربية، والطور الثاني : الذي يبدأ بنشوء علم النحو وتعميد القواعد، فلم يكن النقاد يقفون عند حدود الاستهجان بل كانوا، يصححون الأخطاء النحوية

المبنية على الحجج والبراهين التي لا يمكن دفعها، وما تلك الحجج إلا القواعد النحوية التي استنبطت من كلام العرب (العزاوي، نعمة رحيم ، ١٩٧٨ ، ص٦٠\_٦١) .

ونتج عن ذلك مجموعة من الكتب النقدية التي أفادت البحث وارتوى من معينها، بعضها كان في النقد النحوي المتخصص ومن أهمها (مسائل الغلط) لأبي العباس المبرد، و(الانتصار لسيبويه على المبرد)، و(الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل) لابن السيد البطلوسي، و(رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح) لابن الطراوة ، و(الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) للأنباري ، وبعضهم لم يؤلف في النقد النحوي بل ضمنوا كتبهم الكثير من المسائل النقدية، أمثال ابن يعيش في (شرح المفصل للزمخشري)، وابن عصفور في (شرح الجمل للزجاجي)، وابن مالك في (شرح التسهيل).

وفي العصر الحديث ألف بعض الباحثين - على الرغم من قلتها- أبحاثاً تحت عنوان النقد النحوي، ولعل من أهمها رسالة ماجستير(النقد النحوي لدى النحاة حتى القرن السادس هجري) لسيف الدين البرزنجي الذي تناول فيها أسس ومجالات النقد النحوي والموضوعات النقدية وكتبه، كما ألف الدكتور محمد إسماعيل عبد الله بحثاً تحت عنوان (النقد النحوي قيمه ومضامينه) الذي تناول فيه النقد النحوي بوصفه ظاهرة علمية منهجية أسهمت في بناء الدرس النحوي وتقويمه، كما تناول غير واحد من الباحثين المسائل النقدية لدى أحد النحاة في كتاب معين أمثال الدكتور حسين راضي العايدي في بحثه الموسوم ب(النقد النحوي عند السمين الحلبي في كتابه الدر المصون)، الدكتورة صبيحة حسن طعيس والدكتور سلام حسين علوان في بحثهما الموسوم ب( النقد النحوي عند ابن هشام في أوضح المسالك)، ولم تتطرق تلك الأبحاث إلى أبعاد النقد النحوي وأثرها في إثبات اللغة العربية والحفاظ عليها، لذلك ارتأينا أن يكون هذا البحث الموسوم (أبعاد النقد النحوي وأثرها في الحفاظ على اللغة العربية واستدامتها) مكملاً لتلك الأبحاث والحديث عن الأثر العظيم الذي مارسه النقد النحوي من خلال أبعاده .

لقد أفاد النحاة من النقد النحوي في ميادين مختلفة كلها كانت تهدف بشكل مباشر أو غير مباشر إلى الحفاظ على اللغة العربية من الضياع ومن تلك الفوائد (العزاوي، نعمة رحيم، ١٩٧٨ ، ص٣١٩ \_ ٣٦٠):

١- حماية اللغة العربية: فبعد اتساع رقعة الإسلام أخذت العربية تتعد شيئاً فشيئاً عن فصاحتها بسبب اللحن الذي امتد حتى وصل إلى أبناء العربية بعد مخالطتهم الأعاجم، فنهض النقد النحوي ليقوض اللحن ويقضي عليه، فلولا النقد النحوي لما كان للعربية ان تتجو من تلك الظروف التي تضافرت على إضعافها .

٢- تنمية اللغة: لقد ساعد النقد النحوي في أن يكون النحو أوفر مادة وأن يقبل الجديد الذي تجود به قرائح المتكلمين، فقد منع بعض النحاة الأوائل على سبيل المثال الاحتجاج بشعر المتأخرين، إلا أن ذلك لم يقف عائقاً أمام النحاة المتأخرين الذين اخذوا يحتجون بأشعار المتأخرين كأبي تمام والمتنبي ومن هؤلاء الزمخشري (الزمخشري ، ٢٠٠٩ ، ٥٥/١)، كما أن الكثير من النحاة الأوائل سكتوا عن الاحتجاج بالحديث النبوي، إلا أن النحاة المتأخرين كابن مالك وابن خروف جعله من الشواهد المعتمدة لديهم .

٣- تصحيح الخطأ: منع الخطأ أو التنبه عليه من الفوائد المهمة التي امتاز بها النقد النحوي، (( لأنّ الخطأ إذا ترك قد يعم ويفشو ثم يؤثر على حياة اللغة ، كما أن المحاسبة على الخطأ تحفز المنشئ إلى استكمال أدواته اللغوية )) (العزاوي ، نعمة رحيم ، ١٩٧٨ ، ص ٣٥٩) كما فعل الحضرمي مع الفرزدق في تصحيح أخطائه.

٤- الدفاع عن النحويين: قد يظلم النحوي فيرمى بالخطأ، ويوصف كلامه بالرداءة فكان الناقد يقف معه لينفي عنه الخطأ ويثبت لكلامه الصحة، كما فعل ابن ولّاد حين ألف كتاب انتصر فيه لسيبويه على المبرد الذي وضع كتاب لنقد سيبويه اسماه ب (مسائل الغلط) .

وقد ساعد النقد النحوي في إبراز معطياته وإعطائه صفة الثبات والشرعية مجموعة من الأبعاد التي كانت كفيلة في استقرار النقد النحوي وجعله علماً مبني على الحجج والبراهين، الأمر الذي جعل النقد النحوي يساهم في الحفاظ على اللغة العربية وتنميتها تنمية مستدامة، والسماح لها

بالنظر تطوراً يمنعها من الثقلت والتشتت، كما ساعد على إثراء القواعد النحوية بناء، وهذه الأبعاد هي :

### ١- البعد العلمي (المعرفي)

كان للبعد العلمي في النقد النحوي أثر واضح، فقد استطاع النحاة مع ما يمتلكونه من علمية أن يوظفوا النقد النحوي في الذود عن اللغة العربية وحمايتها، فمع انتشار اللحن والتحريف وتوغله في البيئة العربية نتيجة دخول الأعاجم مما أدى إلى ضعف السليقة، نهض العلماء لدفع هذا الخطر عن لغتهم من خلال النقد النحوي فأخذوا ينقدون كل مظهر من مظاهر التحريف والخطأ، لذلك ركز العلماء على التخصص في علم النحو وفهم أصوله وأبعاده .

إنَّ النقد النحوي أعلى درجات العلمية التي من الممكن أن يتسم بها النحوي، فلا يمكن ان يُمارس النقد دون أن تتوافر لديه المقومات والآليات التي تساعده على النقد وإلا كان نقده صراخ في برية، لذلك كان الجانب العلمي ذات أهمية عظمى في تكوين الناقد النحوي ، لأنَّ عليه الاعتماد في دقة النقد وعمقه .

وحتى يتوافر الجانب العلمي لا بدَّ أن يكون النقاد النحوي متخصصاً في علم النحو وأن لا يجعله من العلوم الثانوية لديه لأنه من السهل إسقاط نقده وإبعاده ، وفي ذلك ما قاله الزجاج لابن السراج في مسألة : ((ومثلك لا يخطئ في مثل هذه المسألة، والله لو كنت في منزلي لضربتك ... فقال [ابن السراج] : قد ضربتني يا أبا إسحاق ، وكان علم الموسيقى قد شغلني عن هذا الشأن )) (السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن، ١٩٩٤ ، ١/١١٠) ، ومثل ذلك أبو حاتم السجستاني الذي ترك العناية بالنحو حتى نسيه فكان (( إذا اجتمع بالمازني ... بادر بالخروج خوفاً أن يسأله مسألة في النحو )) (السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، ١٩٩٤ ، ١/٦٠٦) .

وقد تقطن نقاد النحو لدور الطابع العلمي لدى النحاة وما له أثر من الحفاظ على الهوية العربية فأخذوا يوازنون بين العلماء من حيث العلمية التي يمتلكونها ومن ذلك حين سأل أبو عمر الزاهد أبا بكر بن السراج فقال له : (( أيُّ الرجلين اعلم ثعلب أم المبرد ؟ فقال : ما أقول في رجلين العالم بينهما )) (الحموي ، ياقوت ، ١٩٩٣ ، ٢/٥٥٠).

فكل ذلك جعل النحاة يمعنون النظر في تخصصهم خوفاً من سهام النقد وينكبون في دراستهم على النقد النحوي تأخذهم في ذلك العديد من المآرب، منها مآرب هدفها نقد بناء قائم على تصحيح الانحراف والخلل بغية تصحيح القواعد دافعهم في ذلك إبعاد اللحن عن القرآن الكريم، ومنها قائمة على العصبية النقدية التي كان هدفها النيل من الخصم .

وقد مر النقد النحوي في بدايته بطورين، الطور الأول تمثل بالملاحظات النقدية الفطرية التي قام بها النحاة، فكان النقد النحوي فيها ذات طابع فطري موجه إلى الشعراء والأمراء، وقد مثل هذه المرحلة الرعيل الأول من النحاة ومنهم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي الذي (( تابع الفرزدق وعلق على كل ما يخطأ به الشاعر نحويًا على وجهة نظر الحضرمي النحوية القياسية التي تضع مفردات النص في مكانها من غير خللٍ ما يصيبها، من تقديم مخلٍ، أو تحريك غير مقبول عنده ؛ لعدم صحة توجيه هذا اللفظ في مكانه )) (عبد الله ، محمد إسماعيل ، ٢٠١٧ ، ص ٩١)، مما دفع الفرزدق إلى هجائه (الجمحي ، ابن سلام ، ١٩٨٩ ، ١٨/١)، وكذلك عيسى بن عمر فقد روي عنه أنه (( كان يطعن على العرب ويخطئ المشاهير منهم مثل النابغة في بعض أشعاره وغيره )) (القفطي ، ١٩٨٦ ، ٣٧٥/٢)، ومن تخطئة الأمراء ما روي عن يحيى بن يعمر من تخطئته الحجاج بن يوسف الثقفي، حين قال له الحجاج (( هل تراني ألحن ، قال له نعم ، في حرف واحد من القرآن ، قال له الحجاج : ذلك أشنع، لن تراني ألحن بعد اليوم ، فنفاه إلى خراسان )) (ابن خلكان ، ١٩٧٦ ، ١٧٣/٦)، على الرغم من أن الحجاج كان من الفصحاء العرب الذين يحتج بكلامهم في النقد النحوي (المبارك، عبد الحسين ، ١٩٨٠ ، ص ٧٠).

فهذه الروايات تعبر عن عمق ملاحظات العلماء في تشخيص ظاهرة اللحن لدى الشعراء ، ومدى جديتهم في تخطئة الذين يلحنون مهما كانت مكانتهم، حتى وإن عرضتهم تلك المواقف لخطر بطش الحكام والشعراء في شعرهم، كما تفصح تلك الملاحظات عن الخطر الذي أصاب اللغة العربية حتى جعل فصحاءها يُخطئون، (( فتلك العناية المعجزة التي بذلها الأولون في جمع أصول اللغة ... في عصور غلبت فيها الجهالة وشاعت الأمية وعزت أسباب الأتصال ، فضرَبوا

بهذا أحسن الأمثال، وأبقاها على الدهر وقهروا التاريخ على الشهادة لهم بالصبر الصابر (( حسن (عباس ، ١٩٦٦ ، ص٥).

أما الطور الثاني : فقد تفتق الجانب العلمي لدى نقاد النحو في المناظرات العلمية التي كانت تعقد في بعض المجالس الخاصة وفي المساجد وهي مناظرات في مسائل نحوية ولغوية التي يدور حولها الجدل والنقاش بين النحاة، فبرزت سطوة النقاد وعلميتهم في هذا اللون النقدي فقد (( بدأت هادئة أول الأمر بين البلدين على يد الخليل والرواسي، ثم اشتدت على مرور الأيام وكان لها أثرها الفعال، إذ كانت وقوداً صالحاً لإشعال نار الاجتهاد والدأب على استكمال ما بقي من مواد هذا الفن، فحمى وطيسها في غضون هذا الطور واندلع لهيبها إلى نهاية القرن الثالث، فصلى بناؤها كثير من جلة البصريين و قليل من الكوفيين (( (الطنطاوي، الشيخ أحمد، ١٩٩٧ ، ص٥٤\_٥٦) وقد كان الدافع إلى قيام تلك المناظرات هي رغبة النحاة في الوصول إلى الحقائق العلمية الثابتة، وحب المنافسة والتحدي (( فالمنافسة كانت شديدة وكانت من حوافرها أنها كانت تعقد بحضرة الخلفاء والأمراء الأمر الذي شحذ الهمم لنيل الحضوة وإبراز القدرات على المناظرة والجدل (( أبو السعود، صابر بكر، ١٩٨٨ ، ص١٣٢)، وقد طمع العلماء في (( نائل الخلفاء والأمراء الذين أسهموا بقسط قيم فيها، وكان أغلبها على أيديهم أو على أكثر منهم وحكموا في كثير منها فنصروا وخدّلوا ورفعوا وخفضوا (( (الطنطاوي ، الشيخ أحمد ، ١٩٩٧ ، ص٤٩).

لذلك تسابق النحاة لنيل من خصومهم من خلال إبراز قدراته على النقد النحوي، الأمر الذي أدكى علم الجدل وجعله حاضراً في تلك المناظرات، لأنّ (( المناظرات تصير حيث يصير العلم وحيث يصير العلماء فحب الغلبة جبلي في الإنسان في مظاهر الحياة المختلفة ... غير أنها محمودة المغبّة على كل حال لما تسفر عنه من نتائج القرائح المكنونة، فما نعمت اللغة وغنيت إلا من هذا السجال (( (الطنطاوي، الشيخ أحمد، ١٩٩٧ ، ص٥٠).

فكل ذلك أسهم إسهاماً مباشراً في ظهور مذاهب البصرة والكوفة ، فلولا وجود النقد النحوي لما تمايزت المذاهب وأصبح لكلٍ منهم مذهبه، فقد كان علماء الكوفة يدرسون النحو على يد علماء

البصرة، لكننا ما نلبث أن نجد الصراع بين البلدين يحتدم ملتهباً وكان ذلك عندما تم تكوين المذهب الكوفي وأخذت صوراً من التحديات تبدو واضحة

ومن أشهر تلك المناظرات التي نقلتها لنا كتب اللغة والمجالس في إطار النقد النحوي المناظرة التي دارت بين سيبويه والكسائي في مجلس يحيى البرمكي ، فقال الكسائي لسيبويه : كيف تقول : (كنتُ أظنُّ أنّ العُرب أشدُّ لسعةً من الزنبور) فإذا هو هي بالرفع، أم فإذا هو إياها بالنصب، فقال سيبويه : فإذا هو هي، ولا يجوز النصب، فنقده الكسائي وقال له : لقد لحتن ؛ لأنَّ العرب ترفع في ذلك وتتصب ، فحكوا الأعراب التي في المجلس فتابعت الكسائي (السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، ١٩٩٤ ، ٢٣٠/٢)، فخرج سيبويه إلى بلاد فارس فمات من الغمِّ والحزن الذي أصابه من تلك المناظرة (الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن ، ١٩٩٦ ، ص٦٨).

ومن تلك المناظرات أيضاً مناظرة اليزيدي والكسائي في مجلس المهدي، وذلك حين سأل اليزيدي الكسائي، كيف تقول: إنَّ من خيرِ القوم وأفضلهم أو خيرهم بتهً زيداً ؟ فقال الكسائي : إنَّ من خيرِ القوم وأفضلهم أو خيرهم بتهً زيداً ، فقال اليزيدي : أخطأت، كيف ترفع (خيرهم) قبل أن تأتي باسم (إنَّ)، و تتصب (زيد) بعد الرفع، وهذا لا يجيزه أحد، وقد حكم المهدي بينهما الأعراب الفصحاء فحكوا لليزيدي وشايعوه (المبارك، عبد الحسين، ١٩٨٠ ، ص٧٩) .

كذلك من المناظرة حين سأل عيسى بن عمر أبا عمرو بن العلاء فقال له : بلغني أنك تجيز : (ليس الطيبُ إلا المسكُ) برفع المسك فقال له أبو عمرو : نمت يا أبا عمرو وأدلج الناس ، فليس في الأرض حجازيٌّ إلا وهو ينصب، ولا في الأرض تميمي غلا وهو يرفع محتجاً بمذهبه هذا بالسمع مشافهة عن الأعراب (الزجاجي، أبو القاسم، ١٩٩٩، ص٣).

فكل ذلك جعل النحاة يؤسسون لمنهج موضوعي في دراسة اللغة، مما جعل النقد النحوي يتسم بالتحليل الدقيق والموازنة بين الآراء وفق ضوابط عقلية ونقلية، مما أبعد النحو عن الذوق الشخصي وجعله علماً منضبطاً بقواعد ثابتة، ونتيجة لذلك أخذ النحاة يألفون في النقد النحوي الذي جعل النحو يقفز من طور النقد الشفوي الذي لا يمكن تحصيله وحفظه وتعقبه من قبل الباحثين إلى طور النقد الكتابي القائم على التأليف في كتب النقد.

فمن أهم هذه الكتب النقدية وأشهرها كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) لأبي البركات الأنباري، وهو من الكتب النقدية المهمة ، فقد جمع فيه المسائل الخلافية بين البصريين والكوفيين وحجج كل منهما، ثم يناقش آراء المذهبيين ويميل إلى إبطال آراء المذهب الكوفي في الكثير من المسائل ونقدها.

ومن الكتب الأخرى التي تناولت نقد عالم من العلماء هو كتاب (مسائل الغلط) لأبي العباس المبرد، الذي تتبع فيه كتاب سيبويه وقيده ما رآه من مسائل قد غلط فيها سيبويه، وقد ألف أبو العباس أحمد بن الوليد بن ولّاد كتاباً سماه (الانتصار لسيبويه على المبرد) ردّ فيه على المبرد مخطئاً إياه ومنتصراً لسيبويه، بعد أن رأى أن تلك المسائل التي غلط فيها المبرد سيبويه لا تستند إلى حجة ولا تقوم على دليل.

ومن الكتب النقدية الأخرى المهمة كتاب (الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل) لابن السيد البطليوسي الذي تناول فيه متابعة ومراقبة الأخطاء التي وقع فيها الزجاجي في كتابه (الجمل في النحو) ومحاولة نقدها وتصحيح ما وقع فيه من خلل وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه بقوله: ((وقد سبقنا غيرنا إلى الاعتراض عليه وتخطيئته في بعض ما نحا إليه )) (البطليوسي، ابن السيد أبو محمد بن عبد الله ، ١٩٩٥ ، ص٥٨).

والقائمة تطول بتلك الكتب النقدية فهي كثيرة ولسنا في إطار عرضها كلها، لكننا أردنا التنبيه على الدور الذي مارسه النحاة في النقد النحوي، فهذه الكتب التي ظهرت نتيجة للتطور الذي عاشته العربية تدل بوضوح على نشاط حركة النقد النحوي، والتصدي الحازم من قبل النقاد لظواهر اللحن والخطأ التي ظهرت لدى النحاة وساعدت في حفظ اللغة العربية من الضياع والتدهور والانحطاط الذي تعيشه أية لغة .

كما أنها تدل على أن اللغة العربية وصلت (( بجهود علمائها إلى منزلة لم تحضّ بها لغة أخرى على وجه الأرض في القديم والحديث معاً، وذلك أنهم قتلوها دراسة وبحثاً وأشبعوها نظراً وتأملاً وجروا خلف ظواهرها يجمعون ويسجلون، حتى حفلت المكتبة العربية القديمة بتراث لغوي ضخم ... وجملة ما أتى به هؤلاء القوم في حد ذاته عمل عملي رائع )) ( بشر ، كمال ، ص ١٣٣).

كما كان للجانب العلمي في النقد النحوي دوراً بارزاً في تحقيق النصوص وتوثيق الشواهد، ومراجعة الروايات النحوية حفاظاً على دقة النقل واستمرارية الفهم الصحيح للنصوص .  
فمن ذلك أن الزجاجي ذهب في باب الصفة المشبهة باسم الفاعل إلى أن قولهم : (مررتُ برجلٍ حسنٍ وجهه) بإضافة حسن إلى الوجه وإضافة الوجه إلى المضمَر العائد على الرجل رديء ، لأنَّه إضافة الشيء إلى نفسه، وأن سيبويه أجازَه وقد خطأه جميع نحاة البصرة والكوفة، فردَّ عليه البطليوسي واصفاً إياه بالكذب في نقل الرواية عن سيبويه؛ لأنَّ سيبويه لم يجز ذلك بقوله : (( هذا الكلام قد جمع بين الكذب والخطأ؛ لأنَّ هذه المسألة لم يجزها سيبويه كما زعم )) (البطليوسي، ابن السيد أبو محمد بن عبد الله، ١٩٩٥، ص ٢٢٣)، وإنما سيبويه قال : (( وقد جاء في الشعر (حسنه وجهها) وشبهوه بحسنه الوجه، وذلك رديء )) (سيبويه، ١٩٨٨ ، ١/١٩٩)، ثم قال : (( وقوله : إن جميع البصريين والكوفيين خالفوه فكذب، بل أكثر أصحاب سيبويه موافق له فيما قال )) (البطليوسي، ابن السيد أبو محمد بن عبد الله، ١٩٩٥، ص ٢٢٤).

كما أخذوا يدققون في صحة الشواهد المحتج بها ويمحصونها فكانوا يثبتون ما تنطبق عليه معايير الصحة ويستبعدون الضعيف، (( فقد لفت النقاد اللغويين ما في لغة هذه الشواهد وامثالها من خروج عن المألوف ، فشكوا فيها، وأخذوا يبحثون عن الرواية الصحيحة لها ... وقد هدام البحث إلى ما أصاب تلك الشواهد على أيدي النحاة من تغيير وتبديل، فنهبوا على ذلك وأعلنوا أنها شواهد محرفة لا يعتد بما بني عليها من أحكام )) (العزاوي ، نعمة رحيم ، ١٩٧٨ ، ص ٤٨)، وكان الدافع إلى تغيير تلك الشواهد هو الانتصار لمذهب أو لإثبات قاعدة معينة .

وقد تنوعت هذه الشواهد المحرفة، فربما تكون مجهولة القائل، فمن ذلك احتجاج أبي جعفر الطبري على جواز تأنيث كلمة (سكين) بما أنشد الفراء :

**فَعِيَّتْ فِي السَّنَامِ غَدَاةً قَرٍ بِسَكِينٍ مَوْثِقَةَ النَّصَابِ**

وقد نقد المازني استدلاله هذا بالقول : لمن هذا ومن صاحبه ؟ وما أراه إلا أُخْرِجَ مِنَ الْكَمِّ (الزجاجي ، أبو القاسم ، ١٩٩٩ ، ص ١٠١) .

أو قد يكون مصنوعاً، فمن ذلك احتجاج بعض النحاة على استعمال أفعال من (ويح ، وويس ، وويل) بقول الشاعر :

فما والٍ ولا وأحٍ ولا وأس أبو هندٍ

وقد نقد ابن عصفور احتجاجهم بهذا البيت واصفاً إياه بكونه مصنوعاً خبيثاً لا يعرف قائله (ابن عصفور، أبو الحسن، ١٩٩٥، ٢/ ٥٧٧).

هذا من جهة السند، أما من جهة المتن لاختلاف الرواية، فمن ذلك ما ذهب إليه بعض الكوفيين من جواز تقديم التمييز على العامل إذا كان فعلاً متصرفاً محتجين بقول الشاعر :

أتَهجُرُ ليليَ للفرقِ حبيئُها وما كان نفساً بالفرقِ تطيبُ

وقد نقد ابن يعيش ما ذهبوا إليه، ورأى أن رواية البيت هي ( وما كان نفسي بالفرقِ تطيبُ ) فقال : وإذا كانت رواية البيت هكذا فلا حجة فيه (ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي، ٢٠٠١ ، ٤٢/٢).

فهذه المسائل توضح لنا مدى العلمية التي تسلح بها النحاة لمواجهة خطر الوضع في اللغة العربية والحفاظ على النصوص والأبيات الفصيحة من الروايات الموضوعية، كل ذلك كان سبباً في ازدهار اللغة العربية ونموها لتواكب التطورات التي شهدتها تلك الحقبة .

## ٢- البعد الديني

يعد البعد الديني أحد الروافد المهمة التي يستند عليها الناقد النحوي في رد كل من تسول له نفسه في اللحن أو التحريف في اللغة العربية ويستقي النحوي منه الأدلة والبراهين اللازمة لإثبات صحة مذهبه، فقد استطاع نقاد النحو أن يوظفوا البعد الديني في النقد النحوي من خلال القرآن الكريم و العلوم الشرعية التي جاء بها الدين الحنيف في الحفاظ على اللغة العربية ففضل الإسلام على اللغة العربية يظهر في غزارة مادتها وبراعة أساليبها واتساع مذاهب بيانها، وعلى الرغم من أن البعد الديني جزء من البعد الثقافي إلا أننا أفردنا له بالحديث لما له من تأثير في حفظ اللغة العربية.

## القرآن الكريم

إن ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم جعلها تتصف بالقداسة الأمر الذي جعلها تستمد من القرآن عنصر الحياة، (( ولا يعرف التاريخ لغة اتصلت حياتها بكتاب مقدس كما تتصل كما تتصل حياة العربية بالقرآن )) (الراجحي ، عبدة ، ١٩٧٩ ، ص ١)، فقد أسهم القرآن الكريم في حفظ اللغة العربية من الضياع وجعلها قبلة الدارسين على مر الزمان ، يقول الدكتور رمضان عبد التواب: (( أن العربية لها ظرف لم يتوافر لأية لغة من لغات العالم ذلك أنها ارتبطت بالقرآن منذ أربعة عشر قرناً ودون بها التراث العربي الضخم، الذي كان محوره هو القرآن الكريم في الكثير من مظاهره وقد كفل الله الحفظ، ما دام يحفظ دينه ... ولولا هذا لأمست العربية الفصحى لغة أثرية ، تشبه اللاتينية والسنسكريتية، ولسادت اللهجات العربية المختلفة ، وازدادت على مر الزمان بعداً عن الأصل ، الذي انسلخت منه )) (عبد التواب، رمضان، ١٩٩٧، ص ١٢\_١٣)، كما أن نزول القرآن باللغة العربية كان سبباً مهماً في حب العرب للغتهم واشتداد حفاوتهم بها، لأنهم أدركوا أن العناية بها سبيلهم إلى فهم القرآن والوقوف على مراميه وطريقهم إلى المحافظة عليه من تسرب الخطأ إلى تلاوته (العزاوي، نعمة رحيم، ١٩٧٨، ص ٢٤).

لذا فقد حظيت هذه اللغة بالعناية الإلهية؛ لأن ما رميت به من سهام الجهل والحقد والتسبب في عصور متباينة لو رميت به لغة أخرى لانقرضت منذ أمد بعيد، كما انقرضت الكثير من اللغات بفعل الاحتراب بين الشعوب والصراع اللغوي، غير أن اللغة العربية بقيت مزدهرة نامية حية بفضل القرآن الكريم، فلولا هذا الكتاب المجيد لما عمّرت كل هذا العمر الطويل (الزبيدي، كاصد ياسر، ٢٠٠٣، ص ٦٦).

ويعد القرآن الكريم نروة الفصاحة العليا في أنقى أصالتها، فالنحاة القدامى حرصوا على ان تكون لغة شواهدهم التي يحتجون بها في النقد النحوي فصيحة وبلغية ، فلم يجدوا أفضل من القرآن الكريم تتمثل فيه تلك الصفات؛ لأن (( المعيار الحقيقي في الاحتجاج هو معيار الفصاحة والصفاء والسلامة من الفساد، فلا يحتج بما لابس الضعف لغته وخالطت العجمة كلامه وتسربت الركافة إلى ألفاظه )) (العوادي ، حمادة محمد ، ٢٠١٠ ، ص ٣٧)، وقد عني النحاة بالقرآن الكريم عناية

بالغة، فقد كانت غاية النحوي أن يجد آية تؤيد رأيه وتدعم مذهبه في نقده لمسألة من المسائل لذلك أقبلوا على دراسته طمعاً في خدمة قواعدهم وإثراء مادتهم العلمية.

ومن احتجاجهم بالقرآن الكريم في النقد النحوي فمن ذلك ما ذهب إليه الفراء من جواز جعل خبر ضمير الشأن والقصة مفرداً، وقد انتقده أبو جعفر النحاس ووصف رأيه بالغلط، ملتزماً بالقاعدة التي تنصّ على أن خبر ضمير الشأن يجب أن يكون جملة لا مفرداً كما زعم الفراء ، مستدلاً على صحة ذلك بقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة يوسف : ٩٠) ، فجاءت جملة الشرط وجوابه في الآية خبر ضمير الشأن في (إنَّه) (النحاس، أبو جعفر أحمد ، ٢٠٠٨ ، ص ٦٧٣).

وذهب ابن مالك إلى أن الضمير إذا حُصر ب (إنما) تعيّن انفصاله، وقد انتقد أبو حيان الأندلسي مذهبه هذا ووصفه بالخطأ الفاحش وجهل بلسان العرب، ذاهب إلى أن انفصال الضمير بعد (إنما) ضرورة والأفصح اتصاله، مستدلاً على صحة مذهبه بقوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ (سورة يوسف / ٨٦) ، وقوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ ﴾ ( سورة سبأ : ص ٤٦) ولو كان على ما زعم من انفصال الضمير لكان يجب أن يقال : إنما يشكو بتي وحزني إلى الله أنا، وإنما يعظكم بواحدة أنا (الأندلسي، أبو حيان، ١٩٩٨، ٢/٢٢١)

كذلك ذهب الزجاجي إلى أن (إنَّ) تكسر في أربعة مواضع وما عدا هذه المواضع فيه مفتوحة (الزجاجي، أبو إسحاق، ١٩٨٤، ص ٥٧\_٥٨)، وقد انتقد البطليوسي مذهبه واصفاً إياه بعدم الصحة لأنه لم يصف إلى هذه المواضع كسر همزة (إنَّ) بعد (ألا) الاستفتاحية واحتج على صحة قوله (سورة البقرة : ١٣) بقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السَّفَهَاءُ ﴾ (سورة البقرة : ١٢) ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمَفْسُدُونَ ﴾ (البطليوسي، ابن السيد أبو محمد بن عبد الله ، ١٩٩٥ ، ١٤٩ )

كذلك ذهب ابن مالك إلى أنه لا يجوز حذف المخصوص بالمدح والذم في باب (نعمَ وبئس) وإبقاء التمييز في الكلام الفصيح، وإنما ذلك نادر، وقد انتقد أبو حيان مذهبه ووصفه بالخطأ ، وردّ عليه بجواز حذف المخصوص بالمدح أو الذم وإبقاء التمييز مستشهد بقوله تعالى : ﴿ بئسَ لِلظَّالِمِينَ

بَدَلًا ﴿(سورة الكهف : ٥٠)، أي : إبليس، وقوله تعالى : ﴿ بئس الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (سورة الكهف : ٢٩)، أي : تلك النار (الأندلسي أبو حيان ، ١٩٤٧ ، ص ٢٣).

إن الذي عزز شوكة البعد الديني في النقد النحوي وبسط نفوذه على النحو هو أن أكثر النحاة كانوا من إما قراء، كأبي عمرو بن العلاء والكسائي، أو فقهاء كالجرمي والعكبري ، أو أصحاب حديث كالزجاجي وابن مالك، لذا أفاد هؤلاء النحاة من العلوم الشرعية في إثبات العربية : كعلم القراءات، وعلم الحديث، وعلم الفقه.

ففي مجال القراءات فقد احتج النحاة بالقراءات كونها سنة متبعة فهي المرآة الصادقة التي تصور الواقع اللغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة العربية فهي أصل المصادر التي يمكن العودة إليها لتسجيل ذلك الواقع (عبد العزيز، محمد حسن، ١٩٩٥، ص ٦).

فمن ذلك ذهب البصريون إلى منع إعمال (إن) النافية عمل (ما)، وقد انتقد أبو بكر الدلائي مذهبهم وقال : الصحيح إعمالها، واحتج على صحة مذهب بقرءة سعيد بن جبير لقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَاداً أَمْثَلُكُمْ﴾ (سورة الأعراف : ١٩٤) بسكون (إن) وينصب (عباداً) على أنه خبر (إن) النافية و(الذين) اسمها (الدلائي، ١٩٩٣، ٤/١٢٦٤).

كذلك ذهب ابن مالك إلى جواز العطف على الضمير المجرور من دون إعادة الجار، ونقد مذهب البصريين الذين منعوا ذلك، ووصفه بالضعيف، محتجاً على صحة رأيه بقراءة حمزة لقوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ (سورة النساء : ١)، بجر (الأرحام) عطفاً على الضمير المجرور في (به) من غير إعادة الجار (ابن مالك ، ١٩٩٠ ، ٣/٣٧٥\_٣٧٦).

ومن ذلك ما ذهب إليه الزجاجي من في باب ما يجوز للشاعر أن يستعمله في باب الضرورة الشعرية : حذف التنوين لالتقاء الساكنين (الزجاجي، أبو القاسم، ١٩٨٤، ص ٣٩٣)، وقد انتقد البطليوسي الزجاجي، ورأى أن حذف التنوين لالتقاء الساكنين لا يختص بالضرورة إنما جائز في سعة الكلام، محتجاً على صحة مذهب بقرءة القراء : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (سورة الإخلاص : ١\_٢)، بحذف التنوين من (أحد) لالتقاء الساكنين، وكذلك قراءة أبي عمر بن العلاء : ﴿عَزِيْرُ

ابنُ الله (سور التوبة : ٣٠)، بحذف التتوين من (عزير) (البطليوسي، ابن السيد أبو محمد بن عبد الله ، ١٩٩٥ ، ٣٨٢).

ولم يكتفِ النحاة بعلم القراءات، بل اخذوا يحتجون بعلم الحديث الذي يشمل أقوال النبي(ص آله) والتابعين، ف(( بعد أن ظهرت الحاجة إلى مصادر جديدة للمادة اللغوية، فقد ذهب كثير من العلماء إلى الحديث يلتمس فيه ما يؤيد أقيسته، ويعضد أحكامه )) (أبو المكارم، علي، ٢٠٠٦، ص ١٢٩).

ومن ذلك ذهب الكوفيون إلى جواز الجزم في جواب النهي في قولهم (لا تدنُ من الأسد يأكلُك)، ونقد ابن الضائع مذهب الكوفيين بقوله : (( وما حكى عن الكوفيين من إجازته لا ينبغي أن يعول عليه، وعلى هذا ينبغي أن يكون كما ورد في الحديث من قوله (ص): (مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرُبْ مَسَاجِدَنَا يُؤْذِنَا بِرَائِحَةِ الثَّوْمِ)، مرفوعاً بيؤذينا، ولا يجوز جزمه)) (السيالي، جمعان، ص ٥٣).

ومن ذلك ذهب ابن مالك إلى أن اسم الفاعل لا يثنى ولا يجمع، وقد رد عليه أبو حيان منتقداً مذهبه بقوله أنه من زعم أن هذا لا يثنى ولا يجمع فقد غلط، والدليل على صحة تثنيته وجمعه ما جاء في حديث النبي : (أَوْ مُخْرِجِي هُمْ ) (الأندلسي، أبو حيان، ١٩٤٧، ص ٣٦).

ومن النحاة الذين توسعوا بالاستشهاد بالحديث في النقد النحوي ابن مالك حتى أصبح من مميزات مذهبه النحوي حتى صنف كتاب في الاحتجاج بالحديث، فمن ذلك ذهب الفراء إلى منع جر (زيد) بحرف جر مقدر في جواب من قيل له : بمن مررت ؟ ، فانقد ابن مالك مذهبه وقال : (( الصحيح جوازه ، لقوله (ص): (أَقْرَبُهُمَا مِنْكَ بَاباً) ، بالجر ، إذ قيل له : فإلى أيها أهدي)) (ابن مالك ، ١٩٩٠ ، ١٣٢/٢).

وقد تبعه الرضي الاسترابادي فلم يكتفِ بالاحتجاج بالحديث النبوي بل وسع الاحتجاج ليشمل الاحتجاج بكلام أهل البيت (ع)، فمن ذلك أن البصريين منعوا إضافة الشيء إلى نفسه، وخطأ الرضي منهجهم، وأجاز ذلك بشرط أن لا يكون في أحد الأسمين زيادة فائدة ك (ليث أسد) فقال : (( والإنصاف أن مثله كثير لا يمكن دفعه، كما في نهج البلاغة : ( لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ

وَجَلِّهِمْ ) وقوله : (وسكائك الهواء ورخاء الدعة)، ولو قلنا : أن بين الاسمين في كل موضع فرقاً لاحتجنا إلى تعسفات كثيرة )) (الاسترأباضي ، ١/٩٢٥)

كما كان لعلم الفقه دوراً بارزاً لولوجه إلى النقد النحوي، فقد تناول الفقهاء النقد النحوي بناء على مذهبهم، كما فعل ابن مضاء القرطبي الذي مارس النقد النحوي بناء على مذهبه الظاهري، الذي ألف كتاب سماه (الرد على النحاة) وأعلن فيه نقده اللاذع على النحاة عامة والذي دعا من خلاله إلى إلغاء العوامل والعلل والتأويلات، مكتفياً بظاهر النص منكرًا ما عداه.

### ٣- البعد الثقافي

هو الإطار المعرفي الفكري الاجتماعي الذي أحاط بالنحويين وتشكلت نظرتهم إلى اللغة من خلاله و تكونت فيه آراؤهم النقدية، فهو يعكس صلة النحو بالثقافة العربية الأصيلة من القرآن، والشعر العربي والخطاب الفصيح ، فالنقد النحوي ليس بمعزلٍ عن الثقافة العربية بل هو مرتبط بها ارتباطاً وثيقاً، تلك الثقافة التي تشكلت نتيجة سير أغوار الكلام العربي من شعر ونثر.

وبما أن النحوي هو ابن المجتمع بما يحوي بداخله من موجودات ثقافية واجتماعية ودينية، فإنه يخضع لبيئته ومجتمعه وأعرافه، ويلتزم بها ويحافظ عليها ، فقد تمثل النحاة للمعطيات الثقافية السائدة في عصرهم واستنطقوها على نحو فاعل في تأسيس أصولهم النحوية وصياغتها.

وبما أن الثقافة العربية القديمة كانت مصدراً رئيساً للغة فقد جعل النحاة كلام العرب الفصحاء معياراً للصواب والصحة في القواعد النحوية، لذلك وضع النحاة مبدئين في قبول كلام العرب والأول : القدم إلى نهاية القرن الثاني، والثاني : العزلة عن الأجانب وهي البيئات البدوية ، وقد دفعهم أمر الحفاظ على الهوية العربية إلى الذهاب إلى البوادي حيث الأعراب المتخمة بالفصاحة وارتشفوا من ينابيعها الأقوال والأمثال التي على أساسها وضعوا القواعد.

وبعد أن استقر لهم وضع اللغة، اخذوا يعالجون كل انحراف عن جادة الصواب بالنقد والتصحيح متخذين من تلك الثقافة ( كلام العرب ) معياراً على صحة مذهبهم، فإذا وجدوا قاعدة لا توافق كلامهم قالوا: (( هذا لا يعرف في كلام العرب )) (السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، ٢٠٠٨، ٣/٤٩٥).

وقد حظي الشعر باهتمام النحويين حتى عدوه الدعامة الأولى لهم في الاستشهاد حتى تحددت كلمة الشاهد فيما بعد لتصبح مقصورة على الشعر، وذلك راجع إلى المنزلة العظيمة للشعر في نفوس العرب (النائلة، عبد الجبار، ١٩٧٦، ص ٢٣)، لذلك كان الاستشهاد به أحد الأدوات المهمة التي مكنت من حفظ اللغة العربية وتمييزها على مر عصورها.

ومن الاحتجاج به في النقد النحوي فقد ذهب الزجاجي إلى أن (لا) لا يعطف بها إلا بعد الفعل المستقبل، وقد نقده البطليوسي وأجاز العطف بها بعد الفعل الماضي محتجاً بقول الشاعر:

إِنْ تَغْفِرِ اللّٰهَمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَأ

وقول الشاعر

فَأَيُّ خَمِيسٍ لَا أَفَأْنَا نَهَابُهُ وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا (البطليوسي،

ابن السيد أبو محمد بن عبد الله، ١٩٩٥، ص ١٢١)

كذلك ذهب ثعلب إلى أن (أي) لا تكون إلا استفهامية أو شرطية، وخطأه أبو حيان وذهب إلى جواز مجيئها موصولة مستشهداً على صحة ذلك بقول الشاعر:

إِذَا مَا أَتَيْتَ بَنِي مَالِكٍ فَسَلِّمْ عَلَى أَيُّهُمْ أَفْضَلُ

وقال الشاعر:

فَادْنُوا عَلَى حَقِّكُمْ يَأْخُذْهُ أَيُّكُمْ شَتْمًا، وَإِلَّا فَيَاكُمْ وَإِيَانًا (الأندلسي، أبو

حيان، ١٩٩٨، ٥٥/٣)

كذلك ذهب الكوفيون إلى أن خبر (ما) ينصب بسقوط حرف الجر، وردّ المازني فقال بفساد هذا الرأي لأنّ هناك أسماء تدخل عليها حروف الجر ولا تتصب بحذفها، مستدلاً على ذلك بقول الشاعر:

عَمِيرَةٌ وَدَعَّ إِنْ تَهَجَّرَتْ غَازِيًا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيًا

على معنى: كفى بالشيب (السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله، ٢٠٠٨، ٣٢٣/١\_٣٢٤)

ولم تقتصر ثقافة النحاة في الاحتجاج بالشعر بل شمل الكلام العربي الفصيح والأمثال، ومن الاحتجاج بكلام العرب الفصحاء، فقد ذهب المازني إلى منع دخول حرف الجر على الفاعل، وقد

وصف ثعلب مذهب المازني بالغلط وأجاز ذلك بقوله: العرب تقول: كفى يزيد رجلاً ، وحكى الكسائي عن العرب: مرث بأبيات جادَ بهنَّ أبياتاً ( الزجاجي، أبو القاسم، ١٩٩٩ ، ٢٧٣/١ ) كذلك ذهب البصريون إلى منع الفصل بين الفعل التعجب ومعموله بالظرف أو الجار والمجرور، وقد نقد ابن عصفور هذا الرأي وقال بأن الصحيح جواز ذلك واستدل عليه بقول عمرو بن معدي كرب حين قال: (لله در بني سليم ، ما أكثرَ في الهيجاء لقاءها ، وأكثرَ في اللزبات عطاءها) (ابن عصفور، ١٩٩٥ ، ٤٩/٢)، ففصل بين فعل التعجب ومعموله بـ (في الهيجاء، وفي اللزبات) كذلك ذهب الفارسي إلى جواز تشبية وجمع الاسم العلم كـ(زيد) سواء كان نكرة أم معرفة، وقد نقد ابن الطراوة ورأى أن العلم لا يثنى ويجمع إلا إذا كان نكرة، أما إذا كان الاسم علماً مثل (زيد) وعطف عليه اسم علم مثله كـ(زيد) فإنه يعطف عليه، مستدلاً على صحة مذهبه بقول الحجاج : (إنَّا لله وإنا إليه راجعون، محمدٌ ومحمدٌ في يومٍ واحدٍ ) فلم يقل المحمدان (ابن الطراوة ، ١٩٩٦ ، ص ٣٠) .

كذلك احتج نقاد النحو بالأمثال فقد جعلوها مقدمة على بقية النصوص النثرية؛ لأنها (( النموذج النثري الوحيد الذي اطمأنوا إليه في صحة الاستشهاد ))(النايلة، عبد الجبار علوان، ١٩٧٦ ، ص ٣٠) ومن احتجاجهم بها في إثبات العربية، فمن ذلك ذهب اللورقي من أن ألف الاستفهام إذا لحقت (لا) النافية للجنس فلا تكون لمجرد الاستفهام، بل لابد أن تكون للإنكار أو التمني أو العرض، وقد خطأ الرضي مذهبه وأجاز مجي ألف الاستفهام مع (لا) لمجرد الاستفهام ، كقول العرب : (ألا قماصَ بالغير) فمعنى الاستفهام واضح في المثل (الاسترابادي ، ٨٣٥/١) كذلك منع الكوفيون تقدم الحال على الفعل العامل فيه إذا كان صاحب الحال اسماً ظاهراً، وردَّ ابن مالك بقوله : والصحيح جواز تقديم الحال على عامله مطلقاً، واحتج بقول العرب في المثل السائر : (شتى تؤوب الحلبة) أي : متفرقين يرجع الحالون (ابن مالك، ١٩٩٠ ، ٣٤١/٢) .

#### ٤- البعد الحضاري

كانت النهضة الحضارية التي شهدتها الدولة الإسلامية في العصر العباسي من اتساع الأفق العلمي ذات أثر عظيم في نهضة لغتهم ورقي أساليبها واتساعها لمختلف فنون الأدب وشتى مسائل

العلوم، ((فقد اتصل الفكر العربي بالفكر الإنساني على أوسع نطاق ممكن في هذه الفترة، وقد تم هذا الاتصال بواسطة الترجمة إلى العربية وقد أتاح ذلك لجمهور المثقفين أن يقفوا على حصيلته الفكر الإنساني)) (أبو المكارم، علي، ٢٠٠٦، ص ١٦٤)، وبذلك تمكن العلماء العرب أن يرفدوا ثقافتهم العربية بألوان جديدة من العلوم، وكان من تلك العلوم الوفاة هي المنطق والفلسفة اليونانية، وقد انتفع النحاة في القرن الثالث بتلك العلوم لاسيما المنطق والفلسفة (الراجحي، عبدة، ١٩٧٩، ص ٦٥)، فأخذوا ينهلون من تلك الثقافة العقلية لأنَّ ((التأثير والتأثر يعد سمة إنسانية في مجالات الحياة المتنوعة، وعلى هذا فمن الطبيعي أن ينتفع علماء نذروا أنفسهم لخدموا لغة عقيدتهم بجميع المعارف والمناهج التي انصهرت في بوتقة المجتمع البصري)) (عمامرة، حليلة أحمد، ٢٠٠٦، ص ١٠٣)، ومن ثم كان التفكير المنطقي الفلسفي سمة بارزة إلا أنها بلا شك ظلت تحمل بصمة فكرية خاصة تحفظ لعلماء العربية بشكل عام دورهم في بناء قاعدة المعارف المتنوعة. مع انقطاع السماع في القرن الثالث وعدم الاحتجاج بشعر المتأخرين لجأ النحاة إلى تفعيل التفكير العقلي المستمد من المنطق الفلسفة لاحتواء أي محاولات للحفاظ على اللغة العربية وتمييزها، ولا شك إن تلك الثقافة العقلية كان لها أثر كبير في إبراز قضايا الحجاج النحوي وإثارة مسائل الجدل فأغلب الحجج النحوية تقوم على أساس منطقي فلسفي، فتحول النحو من فطرة إلى فطنة، لذا وظفوا النقد النحوي لخدمة النهضة العلمية الفكرية في ظل ازدهار الحضارة العربية فأصبح النحو أداة لضبط اللغة في مجالات الفلسفة والمنطق، فمارس نقاد النحو تقديم للحفاظ على نقاء اللغة مع السماح بتطورها لتستوعب المفاهيم الجديدة.

ولعل ملامح التفكير المنطقي لدى النحاة تظهر في أشكال القياس وأشكال العلل :

#### أ- القياس المنطقي:

غلب على القياس عند النحاة الأوائل الطابع الوصفي يرتكز على مدى إطراد الظواهر في النصوص اللغوية المرورية، واعتبار ما يطرد من هذه الظواهر قواعد ينبغي الالتزام بها (أبو المكارم، علي، ٢٠٠٦، ص ٢٧)، إلا أنه اتجه بعد ذلك اتجاهاً شكلياً يقوم على مدى إطراد الظواهر وشيوعها، وأصبح يعرف بأنه إلحاق الفرع بالأصل بجامع (الأنباري، ١٩٥٧، ص ٩٣).

ومن احتجاج النحاة بالقياس المنطقي في النقد النحوي واتخاذهم معياراً نقدياً، فقد ذهب المازني إلى أن النون في (أذهبن) والألف في (أضربا) والياء في (أضربي) هي حروف تدل على أحوال الفاعل كالتاء التأنيث الساكنة، وردّ ابن مالك محتجاً بالقياس بقوله: ((وما زعمه غير صحيح ، وإنما هي أسماء أسند الفعل إليها ودلت على مسمياتها، كدلالة النون والألف من (فعلنا) والتاء من (فعلت)) (( ابن مالك، ١٩٩٠، ١/١٢٣) .

كذلك ذهب ثعلب في مناظرة بينه وبين ابن كيسان إلى جواز إعمال اسم الفاعل في مرفوعة مع تقدم مرفوعة عليه، وردّ ابن كيسان بنقد مذهبه ورفضه بقوله : وذلك غير جائز عند أحد، لأنّ اسم الفاعل إنما عمل لمشابهته الفعل، فإذا تقدم عمل الفعل ولم يكن فيه ضمير، وإذا تأخر كان بمنزلة الفعل المؤخر فيجب أن يكون فيه ضمير من الاسم المتقدم يرتفع به كما يكون ذلك في الفعل المؤخر، فلما كان الفعل لا يرفع ما قبله كان الاسم جاري مجراه أضعف في العمل وأحرى ألا يعمل فيما قبله (الزجاجي، أبو القاسم، ١٩٩٠، ص ٢٤٤).

كذلك ذهب الزجاجي إلى أنه إذا تقدم اسم (كان) عليها رفع بالابتداء وصارت (كان) خبره ، ونقده البطليوسي محتجاً بقياس الشبه بقوله : ((هذا الكلام فيه تسامح في العبارة، لأنّ اسم كان لا يجوز تقديمه عليها، لأنّه بمنزلة الفاعل، والفاعل لا يجوز تقديمه)) (البطليوسي، ابن السيد أبو محمد بن عبد الله، ١٩٩٥، ص ١٠٧).

ومن ذلك ذهب الكسائي لجواز نصب (الكتاب) في قوله تعالى : ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالظرف (عليكم) مع تأخره، ونقده ابن يعيش بقوله: ((هذه الظروف ليست أفعالاً، إنما هي نائبة عن الفعل وفي معناه، فهي فرع في العمل على الأفعال، والفروع أبداً منحطّة عن درجات الأصول، فأعمال فيما تقدم عليها تسوية بين الأصل والفرع، وذلك لا يجوز)) (ابن يعيش، أبو البقاء يعيش بن علي، ٢٠٠١، ١/٢٨٨).

## ب- العلل المنطقية

كانت العلة في بدايتها تمثل مرحلة السهولة والوضوح وكانت وليدة قريحة قائلها، إلا أن بعد ذلك امتزجت الفلسفة، فأصبحت العلل هدفاً تعدل من أجلها القواعد، ونشأ نوعان من العلل وهي : العلل القياسية والعلل الجدلية.

فمن النوع الأول، فقد ذهب الكوفيون إلى جواز توكيد النكرة توكيداً معنوياً ب(كل) وما في معناها، وقد رفض ابن عصفور ذلك بقوله: (( والصحيح لا يجوز توكيد النكرة أصلاً لا بالنفس ولا بالعين، ولا ب(كل) ولا ما في معناها، لأن أسماء التوكيد كلها معارف ، والتوكيد يشبه النعت في أنه تابع من غير واسطة حرف ومن غير أن يُنوى بالأول الطرح، وكما أنّ النكرة لا تنعت بالمعرفة فكذلك لا تؤكد بشيء من هذه الأسماء )) (ابن عصفور ، ١٩٥٧ ، ٢٣٦/١) .

ومن النوع الثاني وهي العلل الجدلية، كما ذهب الكوفيون إلى أن الفعل المضارع مرفوع لتعريه من الناصب والجازم، فردّ ابن أبي الربيع مذهبهم بقوله: (( إن التعري عدم والعدم لا ينسب له شيء ... لأن عدم ضد الوجود ... فإن قلت: فقد ذهب البصريون في المبتدأ أنه ارتفع بالتعري والإسناد ، فقد جعلوا للتعري حظاً في العمل، قلت: الصحيح أن العامل : الإسناد، اما التعري فهو شرط في وجود الرفع، فالإسناد يرفعه بشرط تعريه من العوامل اللفظية )) (الأشبيلي، ابن أبي الربيع، ١٩٨٦ ، ٢٢٩/١).

ونتيجة لذلك توسعت العلل وتفرعت ورفدت العربية بمادة لغوية وجدلية ضخمة، نتيجة لدخول المنطق اليوناني الذي لم يُعصم أحداً من تعاطي أدواته، لأنه يحتاج إلى أن يخاطب كل قوم بلغتهم، أو أن يتفاهم مع علماء صنعتة ببيدهياتها.

## الخاتمة والنتائج

من خلال البحث في موضوع أبعاد النقد النحوي وأثرها في تنمية اللغة العربية واستدامتها تبين الآتي:

١- لقد ساعدت هذه الأبعاد في تطور النقد النحوي من خلال تطوير آلياته وضبط قواعده وتحكيم المعايير الصحيحة، فبعد أن كان النقد فطرياً بدائياً قائم على الاستنكار فقط ، فأصبح النقد قائماً

- على معايير وأدلة واتخاذها كحجج وبراهين لا يمكن دفعها كالسمع والقياس، مما جعل للنقد النحوي منهجاً متكاملاً حافظ على كمال اللغة العربية واستدامتها عبر العصور .
- ٢- كما أسهمت تلك الأبعاد في النقد النحوي في إفساح المجال أمام تعدد الآراء، الأمر الذي جعل نقاد النحو يؤلفون الكتب النقدية، مما جعل اللغة العربية تصل إلى الأجيال التالية خالية من اللحن والخطأ
- ٣- إن نقد النحو لم يكن مجرد تصويب للأخطاء أو من باب الترف العلمي، بل كان وسيلة فعالة في تنمية العربية من خلال ضبط استعمالاتها وتحليل أساليبها، مما ساهم في ترسيخ القواعد وحماية اللغة العربية من الاضطراب .
- ٤- إن البعد العلمي في النقد النحوي بما اشتمل عليه من موازنات ومناظرات واستقراء وتحليل للشواهد أسهم في تطوير مناهج التفكير اللغوي، وجعلت اللغة العربية قادرة على التجدد والاستمرار وفق أسس علمية دقيقة .
- ٥- بينت الدراسة أن البعد الثقافي للنقد النحوي جعل اللغة العربية مرآة لحضارتها، إذ ارتبط النحو بثقافة الأمة وتراثها الفكري والأدبي، مما أكسب اللغة مرونة في التواصل مع مختلف العصور .
- ٦- كان للبعد الديني دور محوري في الحفاظ على اللغة العربية من خلال ارتباطها بالقرآن الكريم وقرآته والحديث النبوي الشريف، مما شكل المرجعية الكبرى في الضبط النحوي والاستشهاد ، فكان ذلك عاملاً أساسياً في استدامة العربية وحفظ نقائها .
- ٧- أسهم البعد الحضاري في انفتاح اللغة العربية بشكل عام والدرس النحوي بشكل خاص على معارف الأمم الأخرى كالمنطق والفلسفة، الأمر الذي مكن اللغة العربية من التفاعل مع مختلف العلوم وتوسيع مجال استعمالها .
- ٨- كما أسهم النقد النحوي في إثراء الشواهد المحتج بها وتنوعها مما ساعد على نقل مادة لغوية ضخمة وحفظها من الضياع، ولولاه لما كنا نجدتها في كتب النحو .

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

١. ابن الطراوة النحوي (٥٢٨هـ) ، ١٩٩٦م، رسالة الإفصاح ببعض ما جاء من الخطأ في كتاب الإيضاح ، بيروت - لبنان ، تحقيق : حاتم الضامن، عالم الكتب، ط ٢ .
٢. ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد(٦٨١هـ)، ١٩٧٨م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، بيروت- لبنان، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر، (د.ط)
٣. ابن سلام الجمحي، محمد (٢٣١هـ)، ١٩٨٩، طبقات فحولة الشعراء، جدة - المملكة العربية السعودية، تحقيق : محمود محمد شاكر، دار المدني، (د.ط) .
٤. ابن عصفور(٦٦٩هـ)، أبو الحسن، ١٩٩٥م، شرح الجمل في النحو، بيروت - لبنان، تحقيق : فواز الشعّار، دار الكتب العلمية، ط ١ .
٥. ابن مالك(٦٧٢هـ)، جمال الدين محمد بن عبد الله، ١٩٩٠م، شرح التسهيل، مصر، تحقيق : عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١ .
٦. ابن يعيش(٦٤٣هـ)، أبو البقاء يعيش بن علي، ٢٠٠١م، شرح المفصل للزمخشري، بيروت- لبنان، تحقيق : إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط ١ .
٧. أبو السعود، صابر بكر، ١٩٨٨م، في نقد النحو العربي : دار الثقافة للنشر والتوزيع ، (د.ط)
٨. أبو المكارم ، علي، ٢٠٠٦م، أصول التفكير النحوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١ .
٩. الأشبيلي، ابن أبي الربيع(٦٨٨هـ)، البسيط في شرح الجمل، ١٩٨٦م ، بيروت- لبنان، تحقيق : عياد بن عيد الثبتي، دار الغرب الإسلامي، ط ١ .
١٠. الأنباري، أبو البركات(٥٧٧هـ)، ١٩٥٧م، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة، دمشق- سوريا، تحقيق : سعيد الأفغاني، دار الفكر، ط ١ .
١١. الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، القاهرة ، تحقيق : جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، ط ١ .

١٢. الأندلسي، أبو حيان (٥٧٤٥هـ) ، ١٩٩٨م، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، دمشق - سوريا ، دار القلم، ط١.
١٣. الأندلسي، أبو حيان، ١٩٤٧م، منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك : أضواء السلف ، (د.ط) ،
١٤. البطليوسي، أبو محمد بن عبد الله بن السيد (٥٢١هـ)، ١٩٩٥، الحل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل، بيروت، تحقيق : سعيد عبد الكريم سعود ، دار الطليعة للطباعة والنشر، د.ط .
١٥. حسن، عباس، ١٩٦٦م، اللغة والنحو بين القديم والحديث، مصر، دار المعارف، (د.ط)
١٦. الحموي، ياقوت (٦٢٦هـ)، معجم الأديباء، ١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي، تحقيق : إحسان عباس، ط١ ، .
١٧. الدلائي، محمد بن أبي بكر (١٠٢١هـ)، ١٩٩٣، نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل ، بنغازي - ليبيا ، تحقيق : مصطفى صادق العربي، مطابع الثورة للطباعة والنشر، (د.ط)
١٨. الراجحي، عبده، ١٩٧٩م، النحو العربي والدرس الحديث، بيروت، دار النهضة العربية، (د.ط)
١٩. الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (٣٧٩هـ)، ١٩٩٦، طبقات النحويين واللغويين، القاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف، ط٢.
٢٠. الزجاجي، أبو القاسم (٣٤٠هـ)، الجمل في النحو، ١٩٨٤م، بيروت، تحقيق : علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، دار الأمل - أريد ، ط١.
٢١. الزجاجي، أبو القاسم، ١٩٩٩م، مجالس العلماء، القاهرة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، ط٣ .
٢٢. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (٥٣٨هـ) ، ٢٠٠٩م، الكشف، بيروت - لبنان، تحقيق : خليل مامون شيحا، دار المعرفة، ط٣ .
٢٣. الزبيدي، كاصد ياسر، ٢٠٠٣م، دراسات نقدية في اللغة والنحو، عمان - الأردن ، دار اسامة للنشر والتوزيع ، ط١ .

٢٤. سلوم، داوود، ١٩٩٩، تاريخ النقد العربي من الجاهلية حتى القرن الثالث هجري، بغداد، مطبعة الإيمان، (د.ط).
٢٥. سيوييه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، ١٩٨٨م، الكتاب، القاهرة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط ٣.
٢٦. السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (٣٦٨هـ)، ٢٠٠٨م، شرح كتاب سيوييه، بيروت- لبنان، تحقيق: أحمد حسن مهدي، علي السيد علي، دار الكتب العلمية، ط ١.
٢٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١هـ)، ١٩٩٤م، بغية الوعاة، القاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط ١.
٢٨. طعيس، صبيحة حسن، وعلوان سلام حسين، ٢٠١١م، النقد النحوي عند ابن هشام في أوضح المسالك، جامعة المستنصرية، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد الثامن والستون
٢٩. الطنطاوي، الشيخ أحمد، ١٩٩٧م، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، مصر، دار المعارف، ط ٢.
٣٠. العائدي، حسين راضي، ٢٠١٦م، النقد النحوي عند السمين الحلبي في كتابه (الدر المصون في علوم الكتاب المكنون): مجلة جامعة الأقصى، المجلد ٢٠، العدد ٢.
٣١. عبد التواب، رمضان، ١٩٩٧م، التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٣.
٣٢. عبد العزيز، محمد حسن، ١٩٩٥م، القياس في اللغة العربية، القاهرة، دار الفكر العربي، ط ١
٣٣. عبد الله، محمد إسماعيل، ٢٠١٧م، النقد النحوي قيمه ومضامينه: مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد ٧، العدد ٣.
٣٤. العزاوي، نعمة رحيم، ١٩٧٨م، النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع هجري، بغداد، دار الحرية للطباعة، (د.ط)
٣٥. عمايرة، حليلة أحمد، ٢٠٠٦م، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، عمان - الأردن، دار وائل للنشر والتوزيع، ط ١.

٣٦. العوادي، حمادي محمد، والأسدي، محمد حسن، ٢٠١٠م، الشاهد القرآني عند ابن فلاح اليمني في كتابه (المغني في النحو) : مجلة كلية التربية الاساسية ، العدد الرابع والستون.
٣٧. القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف، ١٩٨٦م، أنباه الرواة، بيروت، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي- القاهرة ، ومؤسسة الكتب العلمية ، ط١.
٣٨. المبارك، عبد الحسين، ١٩٨٠م، أخبار أبي القاسم الزجاجي، جمهورية العراق ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، (د.ط) .
٣٩. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، ١٩٩٧م، الكامل في اللغة والأدب، القاهرة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٣ .
٤٠. النائلة، عبد الجبار علوان، ١٩٧٦م، بغداد، الشواهد والاستشهاد في النحو : مطبعة الزهراء.
٤١. النحاس، أبو جعفر أحمد بن إسماعيل، ٢٠٠٨م، إعراب القرآن، بيروت- لبنان، اعتنى به : الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، ط٢ .